

الصراع الأبدى

قراءة في جدليات الصراع السياسي بين الصحابة وانشاس المواقف حولها

زكريا بن خليفة المحرمي

الصراع الأيدي ... قراءة في جدليات الصراع السياسي بين الصحابة وانقسام
المواقف حولها

المؤلف: زكريا بن خليفة المحرمي

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الغبراء - هاتف: ٤١٩٤٢٦

سلطنة عمان - بهلا

ص.ب: ١١٥

الرمز البريدي: ٦١٢

الفهرس

١	مقدمة
٩	■ القسم الأول: تأسيس المنهج
١١	العلم والظن
٢١	الولاية والبراءة
٣١	تعريف الصحابي
٣٢	مكانة الصحابة في الإسلام
٣٤	عدالة الصحابة
٣٧	مناقشة الأدلة النقلية (=القرآن) التي استدل بها أهل الحديث
٤٢	مناقشة الأدلة النقلية (=الحديث) التي استدل بها أهل الحديث
٤٧	الرسول ﷺ والإنباء بالغيب
٥٢	منهجية القواعد الكلية في الفقه
٥٩	■ القسم الثاني: القراءة التاريخية للأحداث السياسية في عصر
	الصحابة من وفاة الرسول ﷺ إلى بيعة الحسن بن علي
٦١	بيعة أبي بكر
٦٦	قراءة في الشبهات المثارة حول إمامة أبي بكر
٦٦	- الشبهة الأولى: دفن النبي ﷺ
٦٩	- الشبهة الثانية: دور قبيلة أسلم في حادثة السقيفة
٧٠	- الشبهة الثالثة: دور المهاجرين
٧١	- الشبهة الرابعة: عملية مبايعة أبي بكر
٧٢	- الشبهة الخامسة: الوصية بالإمامة
٨٠	- الشبهة السادسة: بيعة أبي بكر
٨١	- الشبهة السابعة: شك أبي بكر في خلافته

- ٨٢ - الشبهة الثامنة: سرية أسامة بن زيد
- ٨٣ - الشبهة التاسعة: ميراث الزهراء
- ٩٥ خلافة عمر بن الخطاب
- ٩٦ الشبهات حول خلافة عمر وسيرته
- ٩٦ - الشبهة الأولى: أن البيعة تمت له دون شورى
- ٩٦ - الشبهة الثانية: رزية يوم الخميس
- ٩٩ - الشبهة الثالثة: تحريم نكاح المتعة
- ١٠٦ - الشبهة الرابعة: مظلومية الزهراء
- ١١٥ خلافة عثمان بن عفان وما وقع فيها من أحداث
- ١١٦ الشبهات المثارة حول بيعة عثمان
- ١١٦ - الشبهة الأولى: الشورى العمريّة
- ١١٨ الأحداث في خلافة عثمان
- ١٢٠ - المطعن الأول: إحراق المصاحف
- ١٢٥ - المطعن الثاني: إيواء ضوال الإبل
- ١٢٨ - المطعن الثالث: رواتب الجند
- ١٢٨ - المطعن الرابع: ضرب عمار بن ياسر
- ١٢٩ - المطعن الخامس: ضرب عبدالله بن مسعود
- ١٣١ - المطعن السادس: ضرب أبي ذر ونفويه
- ١٣٤ - المطعن السابع: تعطيل الحد على عبيدالله بن عمر
- ١٣٦ - المطعن الثامن: إتمام عثمان الصلاة في منى
- ١٣٧ - المطعن التاسع: إيواء عثمان للحكم بن العاص
- ١٣٨ الأسباب الحقيقية للثورة على عثمان
- ١٥٠ قصة مقتل الخليفة عثمان
- ١٥٢ الخلاصة

- ١٥٣ بيعة علي بن أبي طالب وحرب الجمل
- ١٦٢ معارك صفين والنهروان
- ١٦٩ من هم القراء ولماذا عرفوا بهذا الاسم؟
- ١٧٦ التحكيم ومناظرات القراء مع علي بن أبي طالب
- ١٨٤ موقف عبدالله بن عباس بعد التحكيم
- ١٨٨ نهى علي لابن عباس عن المجادلة بالقرآن
- ١٩٠ مقتل عبدالله بن خباب ومسألة الاستعراض والتكفير
- ١٩٥ الأسباب الحقيقية لمعركة النهروان
- ١٩٩ القراء وقصة المخدج
- ٢٠٣ ندم علي بعد قتله أهل النهروان
- ٢٠٧ مقتل علي بن أبي طالب
- ٢١١ بيعة الحسن بن علي والصلح مع معاوية
- ٢١٥ ■ القسم الثالث: الصحابة عند مدارس أهل السنة والجماعة
- ٢١٧ مدارس الصحابة والتابعين
- ٢٢٠ مدرسة أهل الحديث في الشام
- ٢٢٢ المعتزلة وظهور مصطلح أهل "السنة والجماعة"
- ٢٣٤ أهل الحديث لا يقرّون بشرعية خلافة علي بن أبي طالب
- ٢٣٦ أهل الحديث وقدسية الصحابة
- ٢٣٩ أهل "السنة والجماعة" والخلاف حول دخول جميع الصحابة الجنة
- ٢٤٢ أهل "السنة والجماعة" والتفريط في بعض الصحابة
- ٢٥٢ مجموعة أخرى من الصحابة فرط فيهم أهل "السنة والجماعة"
- ٢٥٧ بعض أهل الحديث والتفريط في عمار وأبي ذر والحسين بن علي

٢٦٣	أهل الحديث والتفريط في علي بن أبي طالب من جديد
٢٦٩	خطأ المصطلح واضطراب المواقف
٢٧١	الخلاصة
٢٧٣	■ القسم الرابع: الصحابة عند مدارس الشيعة
٢٧٥	السياق التاريخي لتكون فرق البيت العلوي "الشيعة"
٢٨٦	مواقف الشيعة من الصحابة، الموقف الأول
٢٩٣	مواقف الشيعة من الصحابة، الموقف الثاني
٢٩٩	طعن التيار الشيعي المغالي في الصحابة وأثره في الفكر الإمامي
٣٠١	الخلاصة
٣٠٣	■ القسم الخامس: موقف المدرسة الإباضية من الصحابة
٣١١	موقف الإباضية من الصحابة
٣١٢	أئمة الإباضية والسكوت عن أحداث تلك الفتنة "الموقف الرسمي"
٣٢١	الإباضية الذين تولوا عثمان وعلي بن أبي طالب
٣٢١	الإباضية الذين صرحوا بالبراءة
٣٢٩	سقوط إمامة الصلت بن مالك سنة ٢٧٢هـ وأثرها
٣٥٥	قراءة في الموقف الإباضي من الصحابة بعد الانقلاب على الإمام الصلت
٣٦١	خلاصة الموقف الإباضي من الصحابة
٣٦٤	الخاتمة
٣٦٨	قائمة بأهم المراجع

المقدمة

لا شك أن القاريء سيفاجأ مستغرباً عنوان الكتاب الذي يتحدث عن قضية تاريخية مضت أحداثها واندرس أشخاصها، وربما يسبق إلى ذهنه أن الكاتب يستخدم عنواناً براقاً كنوع من الترويج لسلعة باتت زهيدة في زمن هجر فيه الكتاب وانطفأت فيه أنوار القراءة، بيد أن القاريء سيكتشف أن "الصراع الأبدي" كعنوان للفتن والصراعات التي بدأت في عصر الصحابة لم تقتصر على تلك الصراعات وأثارها الآنيّة في ذلك الزمان، بل تعدتها إلى تجليات صارخة في حياتنا وواقعنا، إن كل ما تعانيه الأمة الإسلامية في حاضرها بل وكل ما عانتها في ماضيها ليس إلا امتداداً طويلاً للمحنة التي ألمّت بالأمة نتيجة الصراع السياسي بين الصحابة من اللحظة التي فارق فيها النبي الخاتم الحية. يكفي القاريء الكريم معرفة أن كبار مفكري الأمة على مر العصور لم يستطيعوا مقاومة جاذبية هذا الصراع الذي يبتلع ما حوله كما تفعل الثقوب السوداء، وأنهم انخرطوا شعورياً ولا شعورياً بقضيمهم وقضيضهم في المشاركة في هذا الصراع المتمثل في الحرب الضروس بين المدارس الإسلامية المختلفة بسبب الخلاف حول مواقف الصحابة، كما أن الكثير من العلماء قد تم التتكر لهم داخل مدارسهم لمخالفتهم ما يعدّ مسلمة عند تلك المدارس، فالحاكم صاحب "المستدرك على الصحيحين" متهم بالتشيع⁽¹⁾، وابن جرير الطبري صاحب "التفسير" و"التاريخ" كذلك⁽²⁾، وعلي شريعتي ومحمد حسين فضل الله متهمان بالتسنن⁽³⁾.

ويتجلى الصراع الأبدي في مواقف المذاهب الإسلامية من بعضها البعض، فالسنة والإباضية يتهمون الشيعة بتكفير الصحابة وتقديس آل عليّ، والشيعة يتهمون السنة والإباضية بكرهية عليّ وأهل بيته، والشيعة والإباضية يتهمون السنة بتقديس الصحابة، والسنة يتهمون الإباضية بتكفير عثمان وعليّ، وهذا يتهم ذلك، وذلك يتهم هذا، وهلم

1 قال عنه الذهبي "ميزان الاعتدال" ج3ص608: "هو شيعي مشهور بذلك".

2 قال عنه الذهبي "ميزان الاعتدال" ج3ص499: "فيه تشيع يسير".

3 راجع علي الشاخوري "مرجعية المرحلة وغياب التغيير"، وعلي شريعتي "التشيع العلوي والتشيع الصفوي".

جراً، منذ أن قامت تلك المذاهب وإلى يومنا هذا، وفي عصر الإنترنت والفضائيات والهواتف المحمولة سخرت التكنولوجيا لخدمة تلك الحرب الشعواء!، فمواقع الحوارات الإسلامية حول قضايا الخلاف وخاصة قضية صراع الصحابة هي الأكثر انتشاراً والأكثر ريادة بين غيرها من المواقع الدعوية!، وكأن الدعوة لا تبدأ إلا ممرغة بغبار ذلك الصراع الذي مزق وما يزال يمزق الأمة إلى فرق وطوائف وأحزاب متناحرة يكفر بعضها الآخر، ولعل الجميع شاهد تلك الندوات التي تقيمها إحدى المحطات الفضائية العربية حول بعض الصحابة أبطال الصراع "الأبدي"، فتلك الحوارات التكفيرية المليئة بالسباب والقذف هي اجترار للصراع "الأبدي" الذي عاشته الأمة وتجرعت غصصه وذآقت مرارته يوماً بعد يوم طيلة الألف والأربعمئة عام الماضية.

إذاً ما فائدة هذا الكتاب وقد ألقت آلاف الكتب والمقالات والقصائد عبر هذه القرون المتوالية، ولم تزد تلك المؤلفات الأمة سوى زيادة حدة المفاصلة المذهبية وتعميق هوة الخلاف بين المدارس الإسلامية المتعددة؟

هذا الكتاب عبارة عن محاولة استكناه ذات أثر لاحق لفتنة الصراع المسلح بين الصحابة، هذا الاستكناه لا يقتصر على السرد التاريخي الصرف للأحداث مع أنه جزء أصيل من أصول الكتاب وفصوله وإنما يتعدى ذلك إلى تأسيس منهج كلي شمولي متكامل لتوجيه القراءة التاريخية نحو آفاق المعرفة السليمة والمنضبطة بعيداً عن رياح العاطفة وهياج التعصب والطائفية، فهو يستعرض المختلف فيه من المواقف وفق المنطق عليه من الأحداث والوقائع، كما أنه ليس كتاب ضبط وتدوين لأزمة الوقائع التاريخية وأشخاصها بقدر ما هو بحث علمي شمولي لدراسة الشبهات المثارة حول أشخاص الصراع، بالإضافة إلى ذلك يحاول الكتاب قراءة موقف كل مدرسة من مدارس الأمة من تلك الأحداث وأشخاصها وفق قواعد تلك المدارس، ثم يزن تلك المواقف وفق المنهج الكلي المعتمد في القراءة التاريخية، ووفق منهج القواعد الكلية في تقويم الدلائل الشرعية التي ارتكز عليها كل طرف في بناء مواقفه الفقهية.

إن أهم مشكلة عانى منها كل من كتب عن صراع الصحابة هي اعتمادهم على منهجيات غير متفق عليها بين الأطراف المتنازعة، مما

تسبب في إنتاج تأويلات شتى ورؤى لا تعد ولا تحصى، فبعض الباحثين ألقى باللائمة على العدو الخارجي للأمة المتمثل في اليهود والنصارى والمانوية وغيرها⁽¹⁾، وآخر يرى أن المشكلة تتمثل في انسياح أفكار الأمم الوافدة على الإسلام تلاحقاً واستيراداً⁽²⁾، وغيره يرى أن المشكلة هي نتيجة حتمية للموروث القبلي العربي الجاهلي مع عدم مقدرة الصحابة ومن جاء بعدهم على التمييز بين الديني والسياسي⁽³⁾، وآخر يلقي اللوم على كبار الصحابة الذين يزعم عدم التزامهم بالنص الإلهي بتنصيب علي بن أبي طالب خليفة للنبي μ ⁽⁴⁾، وطرف آخر أقال عقله مبكراً وادّعى بأن كل ما حدث هو مقدر من الله تعالى وأن الروايات والأخبار قد تنبأت بحصوله⁽⁵⁾. وقد اتضح أن تلك الأبحاث تعاني من قصور في المنهج، فبعض الباحثين لم يكلف نفسه عناء فرز الأخبار وتمييز غثها من سمينها فوقع في أفخاخ مرويات الكذابين وأصحاب الأهواء والمذاهب السياسية الذين دونوا ورووا ما ينصر مذاهبهم وتوجهاتهم⁽⁶⁾، كما وقع آخرون أسارى الرؤية الإسنادية التجزيئية البحتة التي تتعامل مع المرويات التاريخية بمنهج الجرح والتعديل الكلاسيكي⁽⁷⁾، وهناك من تعامل مع القضية بمنظور مذهبي صرف حيث اعتمد كل ما ينصر فكره من غث وسمين ورد كل ما يعارض تلك الفكرة وإن كان أقوى وأثبت مما اعتمد عليه⁽⁸⁾.

واختلاف مناهج الكتاب والمفكرين يرجع في جانب كبير منه إلى عدم التزام المؤرخين الإسلاميين الأول في عملية التدوين التاريخي المنهجية التاريخية الكلية التي تقرأ الأحداث في سياقها الكلي ووفق

1 انظر مثلاً محمد سعيد رمضان البوطي "فقه السيرة النبوية".

2 انظر مثلاً أحمد أمين "فجر الإسلام"، ومحمد عابد الجابري "العقل السياسي العربي"، و"العقل الأخلاقي العربي".

3 انظر مثلاً هشام جعيط "الفتنة".

4 انظر مثلاً محمد الطباطبائي "الشيعة في الإسلام".

5 انظر مثلاً ابن كثير "البداية والنهاية"، والسيوطي "تاريخ الخلفاء".

6 انظر مثلاً لطيفة البكاي "حركة الخوارج".

7 انظر مثلاً حسن المالكي "نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي"، وقد استشهد ص 98-99 بقول الألباني: "التاريخ الإسلامي الرائع يتميز عن تواريخ الأمم الأخرى بأنه هو وحده الذي يملك الوسيلة العلمية لتمييز ما صح منه مما لم يصح وهي نفس الوسيلة التي يميز بها الحديث الصحيح من الضعيف ألا وهو الإسناد".

8 انظر مثلاً محب الدين الخطيب في تعليقه على كتاب "العواصم من القواصم" لابن العربي.

معطياتها الزمانية والمكانية وأعراف البيئة وطبائع المجتمع وفقه لحظة الحدث التاريخي، بل اقتصروا في ذلك على ما يسميه محمد عابد الجابري بـ "التصور الجزئي للزمان" حيث قال: "وكما نجد امتدادات هذا التصور الجزئي للزمان عند النحاة، التصور الذي كرسه المتكلمون في الحقل البياني بأجمعه، نجده كذلك عند المؤرخين العرب بكيفية عامة. وإذا كان التاريخ ليس من العلوم الاستدلالية، إذ هو يعتمد النقل والرواية وليس الرأي والدراية، وإذا كان بالتالي لا يدخل ضمن دائرة اهتمامنا هنا، فلا بد من الإشارة مع ذلك إلى أن تصور المؤرخين الإسلاميين للحدث التاريخي كان محكوماً إلى حدّ كبير بالتصور الجزئي للزمان كما كرسه المتكلمون. فالتاريخ عندهم هو (التوقيت)، أي تسجيل وقت حدوث الحوادث، ولما كان الوقت في التصور البياني يقوم على الانفصال، كما بينا، فإن نظرة المؤرخ في الحقل المعرفي البياني لا بد أن تكون مبنية هي الأخرى على الانفصال، وبالتالي فما سببهم هو تعيين وقت حدوث الحادثة، وليس علاقتها بما قبلها وما بعدها، مما يجعل من التاريخ عبارة عن (فعاليات البشر في أوقات معينة) ويجعل مهمة المؤرخ منحصرة في ضبط أوقات هذه الفعاليات. وهذا ما يعكسه تصورهم للكتابة التاريخية"⁽¹⁾. وقد أشار ابن خلدون إلى تفشي هذه الظاهرة وخطورتها بالقول "الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكّم أصول العادة وقواعد السياسية وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الثواب، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً وسميناً، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمقياس الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط"⁽²⁾.

كما ويؤكد أيضاً على حقيقة استمرار هذه الظاهرة عند المتأخرين من المؤرخين والمهتمين بالتدوين التاريخي حيث يقول: "ثم لم يأت من

1 محمد عابد الجابري "بنية العقل العربي" ص192.

2 ابن خلدون "المقدمة" ص16.

بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثل، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال، واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال. فيجلبون الأخبار عن الدول، وحكايات الوقائع في العصور الأول، صوراً قد تجردت عن موادها، وشفافاً انتضيت بمن أغمادها، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها، إنما هي حوادث لم تعلم أصولها، وأنواع لم تعتبر أجناسها، ولا تحققت فصولها"⁽¹⁾.

فكانت النتيجة حسب ابن خلدون أن "زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء، وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا رويّة، واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً، وناظره مرتبكاً، وعدّ من مناحي العامة"⁽²⁾. فلهذا كان لزاماً علينا أن نستفيد من هذه الملاحظات الموضوعية لظاهرة القراءة والتدوين التاريخي وأن نستكشف من خلال النظر في القوانين والسنن الإلهية المبتوثة في كتاب الله المسطور "القرآن الكريم" وكتابه المنظور "الكون الكبير" لنخرج بمنهج كلي متكامل يعيننا على دراسة وفهم وإدراك تلك السنن والظواهر والتي يشكل التاريخ وأحداثه جزءاً منها.

لقد تم ترتيب الكتاب بحيث تكون نقطة البداية عبارة عن مناقشة للمنهج المقترح والتي تشتمل على دراسة دلالات بعض المفاهيم مثل "العلم" و"الظن"، ودلالات "الثبوت القطعي" و"الثبوت الظني"، والتعرض لمفهوم جديد هو "الشهرة المذهبية" ودلالاته والمقارنة بينه وبين مفهوم "التواتر"، واستعراض مفهوم "المجتمع عليه" في قبال "المختلف فيه"، ثم يستعرض الكتاب مفهوم "الولاية والبراءة" ومناقشة إسقاطات تلك المفاهيم على شخصيات صراع الصحابة، ثم يناقش الكتاب مفهوم "عدالة الصحابة" من خلال دراسة مفهوم "الصحابي"، وموقف الشرع من قضية العدالة، ثم يعرج الكتاب على

1 المرجع السابق ص 11-12.

2 المرجع السابق ص 34.

قضية هامة وهي مسألة مرويات الأنباء بالغيب التي رويت عن النبي ρ والتي يتتبع بها كل فريق من أجل إلزام الآخر بالحجة. وبعد تقرير نتائج البحث وتحديد المنهج المتفق عليه يشرع الكتاب في دراسة تاريخية للأحداث من خلال استعراض الشبهات المثارة ومناقشتها وفق المنهج الكلي المتفق عليه، ثم ينتقل الكتاب إلى دراسة تاريخ المذاهب الإسلامية واستعراض علاقة ذلك التاريخ بالمواقف من الصحابة، ومحاولة دراسة قواعد كل مذهب في تعامله مع قضية صراع الصحابة.

زكريا بن خليفة
المحرّمى
مسقط - سلطنة عمان